

أحاديث رمضان ١٤٢٢ - موضوعات قرآنية - الدرس ( ٢٦ - ٥٧ ) : ومن يتق الله يجعل.....

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠١-١١-٢٩

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

## تكريم الله للمؤمن بعد امتحان صعب

أيها الأخوة ؛ كتعقيب على درس البارحة حيث أن :

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾

[سورة الطلاق الآية : ٢]

وقيل :

(( ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه و دنياه ))

[ورد بالأثر]

و كتوضيح لفكرة أن الدين ليس عبادات شعائرية فحسب و لكنه عبادات تعاملية ، و أن العبادات الشعائرية لن تستطيع قطف ثمارها إلا إذا صحت العبادات التعاملية ، وأن المؤمن الصادق يأخذ وعيد الله عز وجل و كأنه وقع ، و يأخذ وعد الله و كأنه وقع ، و يأخذ خبر الله و كأنه رآه رأي العين ، و أن آيات القرآن الكريم يمكن أن تقرأها و يمكن أن تفهمها ، لكن بون شاسع بين أن تقرأها أو أن تفهمها و بين أن تعيشها ، فأخ كريم ذكرني بقصة كنت قد سمعتها منه من قبل ، و لاتصال هذه القصة بدرس البارحة طلبت منه أن يكتب لي ملخصها لكنها مؤثرة جداً ، السبب أنك قد تقرأ قصة لمؤمن عاش في زمن آخر ، قد تتوهم أن الظروف التي عاشها غير هذه الظروف التي يحيها هو ، فكل زمن له ظروفه و ملابساته و أراضه ، أما القصة التي تقع في زماننا لها ميزة أن هذا الذي فعل هذا الشيء عاش ظروفنا ، و عاش الضغوط ، و عاش المغريات ، و عاش الصوارف ، و عاش كل الملابسات ، ودائماً القصة حقيقة صارخة مع البرهان عليها ، و كان قد تأثر من كلمة أنه يوجد مؤمن يصلي و يصوم لكنه ليس قابضاً لكلام الله عملياً ، هو يقرأ القرآن و يقبل القرآن و يقول هذا كلام الله ، لكن في التعامل اليومي لا يعبأ بقوانين الله ، لا يرى أن الله هو الرازق ، يرى أن رزقه لا يكون وفيراً إلا إذا سلك أصول التسويق التي درسها في بلاد الغرب ، لا بد من إعلان صارخ ، و لا بد في الإعلان من امرأة شبه عارية ، و لا بد من أن يتعامل تعامللاً غير إسلامي حتى يكون رزقه وفيراً ، هذا الأخ يقول توفي والدي قبل عدة سنوات والحمد لله وهو عني راض ، ولنا معمل متواضع في أطراف المدينة ، وفي وقت يئن فيه كثير من الناس في أقطار العالم كله من الكساد وقلة البيع والشراء ، وكثرة البطالة ، وكثرة

الالتزامات، وفي وقت ، هنا يقسم بالله هذا الأخ ، لا يملك قيمة ترسيم سيارته ، سيارته التي يركبها والتي هي تابعة للمعمل لا يملك ثمن ترسيمها ، الدخل صفر ، وقد ذكر لي أن عليه ديناً يزيد عن المليون ، وديناً آخر يزيد عن المليون لجهات إحداها رسمية والثانية تجارية ، أي مليونين والدخل صفر ، ولا يملك رسم ترسيم سيارته ، في تلك الظروف الصعبة أتاني ما تراءى لي ظاهراً أنه الفرج ، جاء الفرج من أوسع أبوابه ، و جاء الرزق الوفير والخير العميم ، إنه عقد تصنيع وتصدير لقطعة تستعمل في أماكن اللهو وبكميات كبيرة جداً ، وبربح خيالي كل شهر يزيد عن المليون ، فإذا زاد الكمية زاد الربح ، ومن ميزات هذا العقد أن الدفع فوري ، ومقدم لأن صاحب العقد على معرفة سابقة به ، فرحت كثيراً بل كدت أطير فرحاً ، بل إن هذا المنتج هو غير الأصناف التي نعمل بها أساساً في هذا المعمل ، لكنه قادر على أن يصنعه ، قال : وقبل أن نقدم على هذا العمل كالعادة طلبت فرصة من الوقت للاستفتاء ، الحقيقة أذكر أنه جاءني إلى جامع الأحمدية في سوق الحميدية و سألني عن هذا الشيء ، و أنا كنت محرجاً جداً لأنه ذكر لي الظروف الصعبة ، ذكر لي الديون ، ذكر لي الدخل المنعدم ، ذكر لي الضغوط التي يتحملها ، وجاء الفرج بهذا العقد وكل شهر بمليون كحد أدنى والزيادة موفورة ، هو كاد يطير من الفرج لأن الفرج جاء ، وبأمانة الفتوى أنا انخرجت كثيراً أمامه لكن قلت له هذا الشيء الذي تصنعه حرام أم حلال ؟ قال لي : أجبني أنت ، قلت له : حراماً ، أنت أعنت على منكر ، وفعلاً كان كلامي كالصاعقة هو يريد أن يأخذ تغطية شرعية لكن وجد أن التغطية غير موجودة ، وكل آماله تبددت وكل فرحه انقلب إلى ترح وكل بشره انقلب إلى كآبة ، معه حق ، قلت له وقتها : هذا امتحان صعب فإما أن تنجح فيه وإما أن ترسب ، أذكر أنني حدثته وأنا في طريقي من جامع الأحمدية إلى مدخل سوق الحميدية قصة أذكرها تماماً ، ذكرني بها البارحة ، ثم يقول : أعود عليّ مرة ثانية أنه لا يملك ترسيم سيارته ، و أن دخله صفر ، و أن عليه التزاماً يزيد عن مليونين ، يقول الأخ الكريم : و في عراك طويل مع نفسي وفي حالة يرثى لها سلمت أمري إلى الله تعالى و توجهت إليه بقلب صادق مصدق قائلاً : اللهم اشهد أنني تركت هذا الأمر لوجهك الكريم ، الظرف صعب جداً ، و المبلغ مغري ، و الفرج تراءى له أنه قد جاء ، يذكرني بقول قلته له : إن الله تعالى لا يُجرب ولا يشارط ، و رفضت العقد كاملاً ، المشكلة أن النبي عليه الصلاة و السلام حينما قال :

اشتقت لأحبابي ، قالوا : أولسنا أحبابك ؟ قال : لا أنتم أصحابي ، أحبابي أناس يأتون في آخر الزمان ، القابض منهم على دينه كالقابض على الجمر ، أجره كأجر سبعين ، قالوا منا أم منهم ، قال : بل منكم ، قالوا : و لم ؟ قال : لأنكم تجدون على الخير معواناً ولا يجدون .

فهذا الأخ الكريم بعد أن رفض هذا العقد ، المشكلة أن كل من حوله اتهمه بالجنون ، من كل من حوله من المؤمنين ، من رواد المساجد ، من الملتزمين عده مجنوناً ، أنت لا دخل لك ، مواد تصنعها بشكل أو بآخر لا علاقة لك بها ، أصيب بمرض بارتفاع ضغط الدم و ارتفاع سكر الدم،

أي الأمل تبتد والضغط من حوله ، ما أحد أعانه من حوله ، ما أحد قال له أنت بطل ، لا ، أنت مجنون لأنك فوت فرصة لا تتكرر ، و يذكرني أنني قلت له مرة زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين :

**(( ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه و دنياه ))**

يقول هذا الأخ بعد حين ، طبعاً صبر ، صبر صبراً شديداً و لابد من أن تدفع ثمن قرارك ، و دفع هذا الثمن أي أنك ترقى بهذا الثمن :

**﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾**

[سورة العنكبوت : الآية ٥]

ما قال : يأتي فوراً ، لابد من أن تنتظر ، يقول والآن والحمد لله نجحت في هذا الامتحان ، و بفضل من الله عز وجل هياً لي سبحانه و تعالى من خلال عملي باباً للرزق الحلال سدّ به ديني و وسع الله عليّ في رزقي ، ليس هذا فحسب بل أكرمني بفضلله و رزقني بيتاً مكان بيتي الصغير الذي لا تزيد مساحته عن سبعين متراً قبل أيام بدله ببيت تزيد مساحته عن مائتي متر في أرقى أحياء دمشق و دفع الفرق ثلاث ملايين ، وسع الله عليه وأكرمه برزق وفير وبراحة نفسية ، هذا معنى قول النبي عليه الصلاة و السلام :

**(( ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه و دنياه ))**

في دينه بقي متصلاً بالله ، في دنياه جاءت الدنيا وهي راغمة ، و يقول هذا الأخ الكريم : و قد تولاني الله بعناية منه فشفاه من مرضيه مرض الضغط والسكر معاً و عوض عليه أضعافاً مضاعفة و سدّ دينه كله واشترى بيتاً واسعاً تزيد مساحته عن مائتي متر في أرقى أحياء دمشق وتوج فضلله عليّ أنه عافاني من مرضي بعد العلاج طبعاً ، كل ذلك بتصديق كلام الله عز وجل ، أنا عندها ذكرت :

**﴿وَلَعِبَدٌ مِّنْ خَيْرٍ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾**

[سورة البقرة الآية : ٢٢١]

يثنى على أمه التي كانت تشد على يديه و زوجته الصابرة التي هنأته على هذا القرار الحاسم ، على كل أنا متأكد أنه ما من مؤمن على الإطلاق يتعامل مع الله بصدق إلا و يرى نتائج لا تصدق ، و لكن نحن نفتقر إلى التعامل الصادق مع الله ، أي إنسان يدع شيئاً في سبيل الله ثم يخيب ظنه هذا من باب الاستحالة .

أخ كريم آخر ركبت معه في مركبته سألته سؤالاً عارضاً : قلت له متى اقتنيت هذه المركبة ، لماذا لا أعرف ؟ سؤال لم يكن يجب أن يسأل ، أريد أن أكلمه راكب معه ، سألته هذا السؤال ، قال لي : هذه المركبة لها قصة ، قلت ما قصتها ؟ قال: أنا أسكن في حي بعيد في المزة وعمله في مركز المدينة و يوجد أزمة مواصلات خانقة ، قصة قديمة ، هو يحمل أغراضه من المدينة إلى سكنه بالمراكب العامة وازدحام وعلى الواقف وحامل أشياء قال لي : ضاقت نفسي ، فلا

يوجد أمل ودخله محدود ، عنده مطبعة قمائش بسيطة جداً أي تكفي طعامه و شرابه فقط ، قال لي: مررت ببائع يانصيب اشتريت ورقة و قلت لعلي أربح و أشتري سيارة ، وضع الورقة في جيبه ، قال لي : اشتريتها يوم الخميس ، يوم الجمعة دخل إلى أحد المساجد ليؤدي صلاة الجمعة موضوع الخطبة عن حرمة اليانصيب ، علق الآمال و من نشترى سيارة سعد الخطيب لم يجد غير أن يتكلم بهذا الموضوع ، الخطيب لا يعرفك، قال لي : و الله أخرجت الورقة في المسجد و مزقتها خوفاً من الله ، أقسم لي بالله بعد يومين جاءه من يطلب منه تصنيع خمسين ألف قميص ، قال لي : ربحي يساوي هذه السيارة ، أخذت ربحي من هذه الصفقة واشترت هذه المركبة ، أنا والله دمعت عيني كأنني علقت على هذه القصة أن يا رب أي مزق هذه الورقة خوفاً منك ، وتدعه بلا مركبة مستحيل ، قال لي : طول عمري عقودي مائتي قطعة ، خمسمائة قطعة ، لا يوجد خمسين ألف عندي ، جاء زبون من خارج القطر وصنع عنده خمسين ألف قميص طباعة و ربح ثمانية وعشرون ألفاً و خمسمائة ، واشترى بها هذه المركبة ، قصة قديمة ، هذه القصة ليست نادرة ، هذه ممكن أن تتكرر مع أي مؤمن ، تقول لي يوجد كساد ، يوجد كساد ، الظرف صعب ، نعم ، لكن يوجد استثناءات للمؤمن ، المؤمن و كأنه يعيش في مكان آخر و في ظروف أخرى لذلك أنا الذي أتمناه أن تعامله بصدق شديد تجد الشيء الذي لا يصدق ، أما كإسلام عادي، كلامك إسلامي ، لكن عملياً لا تتعامل مع الله و كأن هذا المنهج منهجه و مصداقيته مائة بالمائة تتعامل معه في تردد لذلك ليس في الكون إلا الله :

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾

[سورة الزخرف الآية : ٨٤]

الرزق بيده ، و الصحة بيده ، و الأولاد بيده ، و الأهل بيده ، و من فوقك بيده ، و من تحتك بيده ، و من حولك بيده ، و النجاح بالعمل بيده ، و الإخفاق في العمل بيده ، مشكلة الإنسان الشارد الغافل أنه يفعل المعاصي ليأخذ الخيرات و هذه المعاصي تزيده بعداً عن الله عز وجل ، و تزيده إخفاقاً ، و ما ابتغى عبد شيئاً بمعصية الله إلا كان أبعد مما رجا و أقرب مما اتقى ، و ما عند الله لا ينال بمعصية .

أنا أقول هذه القصة بالنسبة إلى صاحبها من أيام الله ، لا يوجد واحد منا إلا و عنده أيام الله ، أي مرة دعا الله عز وجل الله استجاب له ، مرة وقع بصراع فآثر طاعة الله فنصره الله ، مرة له عدو يهدده فاستعاذ بالله فانتصر عليه ، قال تعالى :

﴿وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾

[سورة إبراهيم الآية : ٥]

و هذه القصة من أيام الله ، و ينبغي أن يكون لكل مؤمن يوم من أيام الله في حياته ، كيف لزم جانب الحق فأكرمه الله عز وجل .

هذه حقيقة لذلك أختتم هذا الكلام بقول النبي الكريم عليه أتم الصلاة و التسليم:

" عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

(( ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ))

[أخرجه البخاري ومسلم]

أول هذه الثلاثة :

((أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ))

كلام واضح ، لا ليس واضحاً : لا يوجد أحد في الأرض إلا و يقول الله و رسوله أحب إلي مما سواهما ، هذا كلام ، معنى الحديث حينما تتعارض مصلحتك مع الحكم الشرعي ، عند التعارض مبلغ كبير ، منصب رفيع ، هذه المصلحة أو هذا العمل يتناقض مع نص شرعي فإذا أنت تدوس بقدمك على مصلحتك و تلتزم حكم الله عز وجل ، هذا هو الذي يذوق حلاوة الإيمان، حلاوة الإيمان ثمنها أن تؤثر طاعة الله على مصالحك ، هذا امتحان صعب ، أحياناً الله عز وجل يغلق عليك كل أبواب الفرج و يفتح لك باباً محرماً هذا امتحان صعب ، و أنت في ضائقة ، فالمؤمن القوي يقول لك الله الغني ، و الله لا أفعل هذا و لو مت جائعاً ، حينما يرى الله منك ذلك ، مرة قال لي أخ لي عمل صالح و دخله لهذا المكان محدود جداً ، يعاني من أزمات كبيرة جداً فجاءه عرض بسفر لخارج القطر لكن هذا العمل الدعوي يريد أن يقف ، دخل بصراع شديد مع نفسه ثم استنتج أن الله هو الرزاق ورفض هذا العمل الذي يدر عليه مبالغاً طائلة ولزم العمل الدعوي في بلده ، قال لي : أنا أناجي ربي قال له: يا رب أنا خبز يابس آكله بالشام ، و لكن أعني على نجاح هذا العمل الدعوي ، و أرفض أن أكل ألد أنواع الطعام و أنا محروم من هذا العمل ، فالخيار صعب ، دعوة قوية الله أقامه عليها وناجحة و دخل محدود جداً ، بعد ذلك سبحان الله جاءت الدنيا وهي راغمة ، بقي ببلده وبقي بعمله الدعوي وجاءته الدنيا وهي راغمة ، هذا كله شهد الله ، المؤمن الصادق يراه رأي العين ، لذلك المؤمن لا يمكن أن يساوم على طاعته الله عز وجل ، طاعته الله هي الأصل .

والحمد لله رب العالمين